المحاضرة الثالثة عشر: مسرح الأطفال01.
المفهوم،النشأة والتطور، الأشكال.

لاغرو أنّ المسرح مظهرٌ من مظاهر التطور والرقيّ الحضاري عند الشعوب والأمم، يعمل من خلا كلّ ما يقدّمه على بثّ نور العلم والفكر والثقافة، بالإضافة إلى ما يحققه من متعة وترفيه لجمهوره المتلقيّ.

هذا ما جعله يكتسب أهمّية خاصة ويؤدي دورا خطيرا في العملية التربوية، ولذلك نوّه العديد من الباحثين ومن بينهم "مارك توين" الذي يصف المسرح بأنّه: «أقوى معلم للأخلاق، وخير دافع إلى السلوك الطيب اهتدت إليه عبقرية الإنسان، لأن دروسه لا تلقن بالكتب بطريقة مرهقة، أو في المنزل بطريقة مملة، بل بالحركة المتطورة التي تبعث الحماس... إنّ كتب الأطفال لا يتعدى تأثيرها العقل، وقلما تصل إليه بعد رحلتها الطويلة الباهتة، ولكن حين تبدأ الدروس رحلتها من مسرح الأطفال، فإنّها لا تتوقف في منتصف الطريق، بل تمضي إلى غايتها»[178].

وبهذا القول يقرر "مارك توين" أنّ مسرح الأطفال هو الأقدر من بين وسائط أدب الأطفال الأخرى على تلقين ما نصبو إليه من أخلاق ومبادئ ومعارف للأطفال.

ومن هنا كان اهتمام الإنسان بمسرح الطفل منذ أقدم العصور، فعرفه المصريون القدامى تحت ما يسمى "مسرح الدمى"، ودلّ على ذلك ما وُجد من نقوش ورسوم وتمثيليات حركية موجهة للصغار[179].

178فوزي عيسى. أدب الأطفال (الشعر، مسرح الطفل، القصة). منشأة المعارف. الإسكندرية، مصر. دط. 1998م. ص89.

179ينظر: المرجع نفسه. ص91.

وإن كان السبق للمصريين في هذا المجال، كونهم أصحاب فكر وتاريخ وحضارة لا تخفى؛ فقد جاءت شعوب أخرى بعدهم اعتنوا –بدورهم– بهذا النوع الأدبي؛ فقد احتفظت الذاكرة البشرية بأعمال مسرحية هامة قدمها اليونانيون لأطفالهم[180].

لكنّنا نعلم يقينا أنّ الاهتمام الحقيقي والجدي بمسرح الأطفال كان مع حلول العصر الحديث، وانتشار المعارف والعلوم ونحوها نحو التخصّص الدقيق، فتُنُبّه إلى مسرح الأطفال باعتباره وسيلة تربوية هامة، وكانت أوروبا الأرض التي احتضنت أول بذرة بُذرت في هذا المجال خلال القرن الثامن عشر، «ويعد العرض المسرحي الذي قدمته مدام ستيماني دي جيلينيس، عام 1784 في باريس أول عرض مسرحي قدم للأطفال حتى أن بعض الباحثين يؤرخون بهذا العرض لبداية مسرح الطفل»[181].

وتوالت –بعد هذا الحدث التاريخي– الأعمال المسرحية الموجهة للأطفال وانتشرت في ربوع العالم الغربي انتشارا غير مسبوق.

أما فيما يخص الاهتمام بمسرح الطفل في العالم العربي فهناك من يعتبر أن حكايات "خيال الظل"[182] تعد هي الإرهاصات الأولى لهذا النوع الأدبي في العالم العربي، فيذهب فوزي عيسى إلى أن هذه الحكايات «تمثل البدايات الأولى لتلك النشأة»[183].

ولقد شهد هذا النمط المسرحي ولادته في الثقافة العربية على يد ابن دانيال الموصلي في القرن السابع الهجري[184].

180ينظر: أبو الحسن سلام. مسرح الطفل (النظرية.مصادرا لثقافة.فنون العرض).دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.الإسكندرية– مصر.ط1 . 2004.ص11 .

181فوزي عيسى. المرجع السابق. ص91.

182خيال الظل هو ما يعرف بمسرح العرائس أو الشخوص المتحركة.

183المرجع نفسه. ص94.

184المرجع نفسه. ص94.

غير أنّ مسرح الأطفال لم يكتب له الرواج والانتشار في العالم العربي إلاّ على يد الشاعر العربي الكبير محمد الهراوي الذي يأخذ موضع الرأس في هذا الفن، إذ «يعدّ الشاعر محمد الهراوي (1885-1939) الرائد الحقيقي في التأليف الإبداعي لمسرح الأطفال، فقد كتب بعض المسرحيات الخاصة بالأطفال في الفترة من 1922-1939م»[185].

وهو بهذا فتح الباب على مصرعيه أمام الكتاب في الوطن العربي ليخوضوا غمار هذه التجربة كلّ بما أوتي من موهبة وقدرة على الصياغة الأدبية، فراحت الأعمال المسرحية تتولى الواحدة تلوى الأخرى إلى أن أصبحت لا تخلو منها مدرسة ولا منطقة في ربوع هذا الوطن العربي الكبير، وبهذا الرواج عرض المسرح نفسه بوصفه شكلا من أشكال أدب الأطفال المؤثرة والفاعلة في تنشئة الطفل وتكوينه ثقافيا واجتماعيا، وهذا هو ما خول له أن يحتل -إلى جانب القصة والشعر- حيّزا هاما من أدب الأطفال، ذلك أنّه «ينقل للأطفال بلغة محببة -نثرا أم شعرا- وبتمثيل بارع، وإلقاء ممتع للأفكار والمفاهيم والقيم، ضمن أطر فنية حافلة بالموسيقى والغناء والرقص»[186]، ومنه فمسرح الأطفال يأخذ شكلين هامين شكلا شعريا يعبّر عليه بالمسرحيات الشعرية، وآخر نثري، على أنّ كلا الشكلين يشتركان في كونهما وسيلة هامة من وسائل تثقيف وإمتاع الأطفال.

ونستطيع أن نقسم مسرح الأطفال من حيث الممثلون إلى أربعة أقسام هي[187]:

1. **المسرحيات التي يقوم فيها الأطفال بالتمثيل وحدهم.**
2. **المسرحيات التي يقوم فيها الأطفال بالتمثيل إلى جانب الكبار.**
3. **المسرحيات التي يقوم فيها بمهمة التمثيل الكبار فقط.**

185المرجع السابق. ص95.

186هادي نعمان الهيتي. أدب الأطفال: فلسفته فنونه وسائطه. وزارة الإعلام، بغداد. دط. 1977م. ص304.

187مفتاح محمد دياب. مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال. الدار الدولية للنشر والتوزيع. القاهرة -مصر.ط1، 1995،ص103.

4. مسرحيات تقوم فيها العرائس أو الدمى بأداء الأدوار.

والمسرح بهذا لصيق بفن التمثيل الذي هو: «فن تجسيد صورة حية لشخصية من الشخصيات بالصوت التعبيري والحركة الجسمية بما يوافق تلك الشخصية»[188].

والتمثيل وسيلة هامة لتشويق الطفل وتدريبه على الأداء بما يعود عليه بفائدة عظيمة، من هنا أخذ الدارسون يعددون فوائد التمثيل وتأثرها في تكوين الطفل، ومنهم عبد العزيز جادو الذي يذكر ثلاث فوائد لفن التمثيل هي[189]:

1. إنّ ميل الطفل الطبيعي إلى التعبير بجسمه سبيل إلى جعل الحياة المدرسية وما يوجد بها من أعمال جافة أو شاقة أقل عسرا، وأكثر تشويقا.

2. عن طريق التمثيل تكون الحقائق والمعلومات أعمق وأبقى في عقول التلاميذ، ولهذا كله أثره النافع في عملية التعليم.

3. التمثيل حافز قوي يحمل التلميذ على العناية وحسن الإعداد، ويظهر هذا في القطعة من التاريخ أو الأدب أو الحياة الاجتماعية يعدّها التلميذ في مسرحية.

وفي الأخير نستطيع القول: إنّ كلا من الشعر والقصة والمسرح وباقي أشكال أدب الأطفال الأخرى تشترك جميعا في كونها تؤدي دورا كبيرا في تنمية الأطفال عاطفيا وعقليا واجتماعيا وفنيا، كما تعمل على رسم معالم طريق الحق أمام الأطفال وسكّهم على الصراط المستقيم.

188أبو الحسن سلاّم. مسرح الطفل. ص18.

189 ينظر: المرجع نفسه. ص112.